إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات مايو ٢٠٢٢م

عن الإيمان

يقول القديس إسحاق السرياني: "إن الرجل الذي يثبت قلبه بثقة الإيمان لن يكون أبداً في حالة عوز. وعندما لا يكون لديه شيء، فإنه بالإيمان يملك كل شيء، كما هو مكتوب: "كل ما تطلبونه في الصلاة تنالونه"؛ ومرة أخرى، "الرب قريب لا تهتموا بشيء".

لقد كُتب عن أخنوخ أنه أرضى الله وبإيمانه أُخذ بعيداً حتى لا يرى الموت، لأنه أرضى الله. إذا سألنا أنفسنا كيف أرضى أخنوخ الله؟ كان من خلال هذين الأمرين. السير مع الله والإيمان. يقول الرسول بولس أن الإيمان هو الإيقان بأمور لا تُرى، وليس فقط الأمور التي تُرى. عندما نضع مستقبلنا بين يدي الله، نلزمه بمساعدتنا. إن الثقة المطلقة بالله تولد من الإيمان، الذي نصلي به سراً ونتمتع بثمر الرجاء. لأن الإنسان يستطيع أن يجعل من حياته حياة في الفردوس، إذا كان يثق بالله، ويسبحه على كل شيء ويقبله كأب محب يحرس حياته. يأتي الإيمان أولاً ثم المحبة. يجب على المرء أن يؤمن لكي يحب. كلما زاد إيماننا، كلما إزداد رجاؤنا ومحبتنا وتضحياتنا من أجل الله وإخوتنا.

عن هذا الإيمان، يقول القديس كيرلس الأورشليمي: "بدون إيمان يستحيل إرضاؤه". فكيف يعزم الفرد على خدمة الله ما لم يؤمن بأنه "مانح للمكافأة"؟ كيف تختار امرأة شابة حياة البتولية، أو يعيش شاب بعفة، ما لم يكونوا يعتقدون أنه من أجل العفة هناك "إكليل لا يضمحل"؟ الإيمان هو العين التي تنير كل ضمير وتجلب الفهم. يقول النبي: "وإن لم تؤمنوا فلن تفهموا". الإيمان "يسد أفواه الأسود"، كما في حالة دانيال، لأن الكتاب المقدس يقول عنه: "فأُصعد دانيال من الجب ولم يوجد فيه ضرر لأنه آمن بإلهه". هل هناك أي شيء أكثر رعباً من الشيطان؟ ومع ذلك، ليس لدينا ضده درع آخر غير الإيمان، وهو درع منيع ضد عدو غير مرئي. لأنه يرسل سهاماً مختلفة و "يطلق النار في الليل المظلم" على أولئك الذين لا يكونون يقظين. ومع ذلك، بما أن العدو غير مرئي، فلدينا الإيمان كدرع قوي لنا، وفقاً لقول الرسول: "حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة". غالباً ما يتم إطلاق سهام نارية من الرغبة في الانغماس في غرائز المرء الشريرة من قوس الشيطان. لكن الإيمان، الذي يوحي بصورة للدينونة، يبرد العقل ويطفئ السهام. يعلمنا القديس بولس أنه قبل كل شيء، يجب علينا أن نأخذ ترس الإيمان الذي سنتمكن به من إخماد السهام النارية للشرير، كما يحمي الترس الجسد كله، كما لو كان نوعاً من الأسوار، هكذا هو الحال بالنسبة لهذا الإيمان، لأن كل الأشياء تستسلم له. وكما يقول إنه بالإيمان حيث يمكننا أن أن نطفئ كل السهام النارية للشرير. لن يكون هناك شيء قادر على التشبث بهذا الترس؛ اسمع ما يقوله المسيح لتلاميذه: إذا كان لديكم إيمان مثل حبة الخردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من ههنا فينتقل. ويقصد بسهام الأشرار كل من الإغراءات والرغبات الدنيئة. وكذلك يضيف كلمة الملتهبة، لأن هذه هي صفة هذه الرغبات. ومع ذلك،

إذا كان الإيمان قادراً على التسلط على الأرواح الشريرة، فأكثر من ذلك بكثير يمكنه أيضاً أن يتسلط على أهواء النفس. وما لم نكن مسلحين بهذا الترس فلن تكون لدينا القوة للقتال بشجاعة ومقاومة كل هذه القوى القاتلة. ولكن مع حماية الإيمان، نقوم بصد كل هذه الضربات وأي هجمات تأتي من جيش كامل من القوات.

بسبب الإيمان تم قبول تقدمة هابيل. نجا أخنوخ من الموت لأنه كان يرضي الله في إيمانه. كان نوح محمياً من الطوفان لأنه كان يؤمن. لقد بورك إبراهيم من خلال إيمانه، وحُسب له إيمانه براً. كان إسحق محبوبا لأنه آمن. تم الحفاظ على يعقوب بسبب إيمانه. تم اختبار يوسف في مياه النزاع بسبب إيمانه، وتم إنقاذه من تجربته. لقدأقام ربه شاهداً فيه، كما قال داود: "أقام شاهداً في يوسف". صنع موسى العديد من المعجزات المدهشة من خلال الإيمان. فمن خلال الإيمان دمر المصريين بعشرة ضربات. ومن خلال الإيمان قام أيضاً بشق البحر، وجعل شعبه يمر من خلاله، وأغرق المصريين في وسط البحر. بالإيمان ألقى قطعة من الخشب في الماء المر فأصبح حلواً. بالإيمان أنزل المن وأرضى شعبه. وبالإيمان مد يديه وهزم عماليق، كما هو مكتوب: "فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس". كما أنه صعد أيضاً جبل سيناء بالإيمان، عندما صام مرتين، لمدة أربعين يوماً في كل مرة. ومرة أخرى، من خلال الإيمان هزم سيحون وعوج، ملكي الأموريين.

اشتهر بين هؤلاء الأجداد أخنوخ الذي لم يختبر الموت لأن الله أخذه حياً. نقرأ عنه في الكتاب المقدس أن "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه" (تكوين ٥: ٢٤). أيضاً، "بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت لأن الله نقله إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله" (عبرانيين ١١: ٥). هذا ما ميز أخنوخ عن غيره من أبناء جيله، أنه سار مع الله. وبعبارة أخرى، كان يرضيه بأعماله وسلوكياته، لذلك كان في شركة كاملة معه، في صلوات مستمرة وتأمل متواصل. إنها أيضاً دعوة للإنسان أن يسير مع الله من أجل الفوز بالسعادة الأبدية. دعونا نسعى إذن إلى أن نرث السماوات لأن ربنا يسوع المسيح دعانا إلى إتباعه حاملين صليبه دون أن يعدنا بالراحة في هذه الحياة. بل على العكس تماماً، أظهر لنا بوضوح أن الطريق إلى ملكوت الله صعب جداً. هذا هو الطريق الذي كان قد سلكه من أجلنا. لقد وعدنا بأن يكون معنا ودُعي "عمانوئيل" الذي تفسيره "الله معنا" (مت: ١:٢٣). "إذا كان الله معنا، فمن علينا؟" (رو ٨: ٣١). كم هو جميل قول كاتب المزمور: "أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي" (مز ٢٣: ٤). السير مع الله يحمينا من سهام عدونا الشيطان. إنه ينقذنا من كل من الأعداء الخفيين والظاهرين. إنه سياج من حولنا يحمينا ويمنحنا الغلبة والراحة والصفاء والأمان، والأهم من ذلك كله السلام. سار يوسف البار مع الله وقيل عنه: "لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه" (تكوين ٣٩: ٢٣). سر نجاح يوسف في كل حياته وتغلبه على التجارب يكمن في تعلقه بناموس الرب واعتماده عليه، أي السير مع الله. كم هو ملهم كاتب المزمور الذي يصف الرجل البار: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس لكن في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل. وكل ما يصنعه ينجح" (مزمور ١: ١-٣). هذا هو الرجل الذي سار مع الله، في الطريق الذي لا ينحرف. إنه يبقى بعيداً عن الخطيئة ولا يرتكب معاصي. إنه ثابت في التأمل في كلمة الله لمعرفة إرادته بشكل أفضل وتطبيقها وينمو هكذا في النعمة ، ويعطي ثماراً روحية.

دعونا نأخذ رجال الله الأبرار كمثلة لنا. إنهم أولئك الذين يلهجونفي ناموس الرب ليلاً ونهاراً. إنهم راضون بأن يكونوا مع الله في الصلاة المستمرة، الفردية والجماعية، الخاصة والعامة. إن سرورهم هو التحدث إلى الرب

والاستماع إلى كلماته. إنهم يسيرون معه هكذا ولا يرغبون في أي شيء في الحياة سوى الرب. يتحدثون معه مع كاتب المزمور قائلين: " مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ !تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلهِ الْحَيِّ. الْعُصْفُورُ أَيْضًا وَجَدَ بَيْتًا، وَالسُّنُونَةُ عُشًّا لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا، مَذَابِحَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ، مَلِكِي وَإِلهِي. طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ، أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ. طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ" (مز٨٤: ١-٥). "من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض" (مز ٧٣: ٢٥). كم هي رائعة صلاة موسى إلى الرب: "إن وجدت نعمة في عينيك أيها السيد فليسر السيد في وسطنا" (خروج ٣٤: ٩). "كما قال الله: "إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً" (٢كو ٦: ١٦).

يقول كتاب الحكمة عن أخنوخ أنه كان يرضي الله بعد أن أصبح محبوباً، وعاش بين الخطاة، ونُقل. وسرعان ما أخذ بعيداً، لأن الحقد لم يستطع أن يغير فهمه، ولا أن يخدع روحه. حقاً كانت روحه ترضي الله. ولهذا السبب، سارع إلى إخراجه من وسط الآثام. إنه نفس الشيء معنا كرهبان ، لقد أخذنا الله من العالم وشروره لنكون واحداً معه. لذلك أيضاً في حياتنا الرهبانية نحتاج إلى الإيمان والسير مع الله لأننا من خلال هذين الاثنين نكون قادرين على مواصلة مسيرتنا بفرح وشجاعة حتى النهاية، لذلك دعونا نقترب من الإيمان، لأنه يحتوي على العديد من القوى. لأن الإيمان رفع أخنوخ إلى السماء، وتغلب على الطوفان، وتسبب في ولادة العاقر، وخلص الناس من السيف، وأقام إرميا من الجب، وأثرى الفقراء، وأطلق سراح الأسرى، وأنقذ المضطهدين، وأنزل النار، وشق البحر، وشق الصخرة الصلبة، وأعطى الماء للعطشان، وأشبع الجياع، وأحيا الموتى وأقامهم من الهاوية، وهدأ الأمواج ، وشفى المرضى ، وهزم الجيوش، وأسقطت الأسوار، وسد أفواه الأسود، وأطفأ لهيب النار ، ووضع المتكبرين، وجلب المتواضعين إلى الكرامة. كل هذه الأعمال القوية جاءت عن طريق الإيمان. لأن المبارك حقاً هو الإنسان الذي تكون إرادته كلها في حفظ شريعة الله. طوبى للقلب الذي نضج في معرفة مشيئة الله، والذي رأى "أن الرب صالح"، والذي اكتسب هذه الرؤية من خلال تذوق وصايا الرب، والذي وحد إرادته مع إرادة الرب. مثل هذا القلب هو الرجل المبارك. طوبى للقلب الذي يشتعل بالغيرة الإلهية! طوبى للقلب الذي يلتهب بالرغبة التي لا تشبع في تنفيذ مشيئة الله! طوبى للقلب الذي يتألم بمحبة الله بلطف فوق كل احتمال! مثل هذا القلب هو المكان ، أي المسكن، غرفة الزفاف، وعرش البركة!